



کتاب
فضائل قریش

obeikandi.com

كتاب فضائل قريش

أخبرنا الشافعي، حدثنا ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب؛ أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: « قدموا قريشاً ولا تقدموها، وتعلموا منها ولا تعلموها أو تعلموها ». .

هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث أملاها الشافعي - رحمة الله عليه - في الجديد في فضائل قريش والأنصار وغيرهم، وقصده من ذلك ترجيح معرفتهم بالسنن على معرفة غيرهم .

قوله: « قدموا قريشاً » : يستدل بهذا الحديث من لا يرى الإمامة إلا في قريش، وهو صريح في ذلك أو قريب من الصريح . وقوله: « ولا تقدموها » فحذف التاء الواحدة وهى تاء التفعّل لاتاء المضارعة . وقوله: « ولا تعلموها » مفاعلة من العلم أى لا تغالبوها بالعلم، ولا تكاثروها فيه وفى الرواية الأخرى: « فلا تعلموها » لأن التعليم إنما يكون من الأعلى للأدنى، ومن الأعلّم لمن ليس بأعلم فنهاهم أن يجعلوا قريشاً فى مقام التعليم أو فى مقام المغالبة بالعلم، وهذا القول وإن كان عاماً فى الأمر بتقديمهم والتعلم منهم وفى النهى عنه التقدم عليهم والتعليم لهم، فإنه خاص فى الإمامة وصرفه إليها أخص وأولى بالإجماع، لأنه لا يجوز أن يلى الإمامة إلا قريش وإذا كان هذا المنصب خاصاً بهم دون الناس فما الظن بغيره من المناصب والمراتب، وقريش: هو النضر بن كنانة وقيل: هو فهر بن مالك بن النضر، فكل من هو من ولد هذا أو ذا فهو قرشى، ويريد بقريش فى الحديث: القبيلة وإنما صرف لأنه نظر إلى الاسم أو الحى فزال عنه التأنيث فانصرف .

وأخبرنا الشافعي، أخبرنا ابن أبى فديك، عن ابن أبي ذئب، عن حكيم بن أبى حكيم، أنه سمع عمر بن عبد العزيز وابن شهاب يقولان: قال رسول الله ﷺ: « من أهان قريشاً أهانه الله عز وجل » .

هذا الحديث هكذا أخرجه الشافعي مرسلأً، وقد أخرجه الترمذى مسنداً^(١)، عن أحمد بن الحسن، عن سليمان بن داود الهاشمى، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهرى، عن محمد بن أبى سفيان، عن يوسف بن الحكم، عن محمد بن سعد، عن سعد ابن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: « من يرد هوان قريش أهانه

(١) الترمذى فى المناقب، ب فضل الأنصار وقريش(٣٩٠٥) وقال: حسن غريب .

الله». قال الترمذى: وأخبرنا عبد بن حميد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب بهذا الإسناد ونحو رواية الشافعي: من أهان قريشاً: أى من أحل بها هواناً جزاء الله عليه مثله، وقابل هوانه بهوان ولكن هوان الله أشد وأعظم. ورواية الترمذى: «من يرد هوان قريش أهانه الله» فهذا أعظم لأنه جعل هوان الله لمن أراد هوانها، فهذا وإن كان اللفظ يقتضيه ويجوز أن يجعل ذلك خاصاً لقريش، لكن/ حكم الله المطرد فى عدله أنه لا يعاقب على الإرادات، وما تحدثت به الأنفس، إنما يعاقب ويجازى على الأفعال والأقوال الواقعة؛ ولكن ذكر ذلك لمعنيين: أحدهما الزجر والوعيد والتغليظ فى حق قريش، ليكون الانتهاء عن أذاهم أسرع قبولاً واتباعاً. والثانى: أن هذا أجرى على العادة المألوفة فى الخطاب، والاتساع فى اللغة؛ يقول القائل من يعزم على كرامتى أكرمه، ومن يعزم على إهانتى أهنه، ولا يريد أنه يكرمه أو يهينه بمجرد العزم على إكرامه أو إهانته، إنما يريد أحد أمرين: إما أن يجازى اللفظ بلفظ مثله، فيكون التقدير من يعزم على كرامتى أعزم على كرامته، ومن يعزم على إهانتى أعزم على إهانته، أو على تقدير من يعزم على كرامتى فإنى أكرمه إذا وقع منه ما عزم عليه، ولكن أوسع فى الخطاب بهذا القول المعتاد لفهم المعنى والله أعلم.

١/٢١٧

وأخبرنا الشافعي، أخبرنا ابن أبي فديك، عن أبي ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن أنه قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل».

بطر الرجل - بالكسر - يبطر - وبالفتح -: إذا طغى فى النعمة وكفرها وجار فيها، يريد لولا أنها إذا علمت مالها عند الله من الخير والأجر والثواب والنعيم المعد المدخر لها، كانت تبطر وتدع العمل وترتكب مالا يحل لها اتكالاً على مالها عند الله من حسن الجزاء لأعلمتها به، وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله، وأن المعد لها شئ كثير لا يمكن الإنسان مع معرفته به إلا أن يطغى ويبطر، وفى إضافة البطر إليها نقص، ولكنه أمر طبيعى قد ركب فى الإنسان وحبب للفطرة الآدمية، فلا يكاد يخلو عنه وإن وجد/ من يقهر نفسه ويكبح هواه ويغلب طبعه فإنه المنتهى قليل ما هم فلا تظن أن ذلك نقص فى حقهم فإنه وصف لا يخلو منه بشر وفقنا الله وإياكم لقهر شيطان الهوى.

ب/٢١٧

وأخبرنا الشافعي أخبرنا ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر، عن عطاء ابن يسار أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم مع الحق، إلا أن تعدلوا عنه فتلحون عليه كما تلحى هذه الجريدة يشير إلى

جريدة في يده.

هذا الأمر يريد به : الإمانة والإمارة، وهو إشارة إلى الأمر الذي جاء به ، ثم أنه لما جعلهم أولى الناس به أتبعه بما يتبعهم من العجب والبطر والترفع على الناس ، فقال : « ما كنتم مع الحق »، أى : ما لزمتم الحق ، ودمتم عليه، إلا أن تنصرفوا وتميلوا إلى غيره من الباطل فتحلون أنى تفسرون كما تفسر هذه الجريدة: وهى القطعة من عسيب النخل والعسيب من السعفة: ما بين الكرب ومنبت الخوص، وما يثبت عليه الحوض فهو السعفة، واللحاء ممدوداً القشر الذى يكون العود، وتقول: لحوته ألحوه لحواً ولحيته لحياً.

ووجه التشبيه بهذا المثال : أن الجريدة وغيرها من العيدان إذا أخذ قشرها كان ذلك داعياً إلى يسها وجفافها: لأنها مهما كان قشرها عليها كان أحفظ لها، وكذلك أنتم معشر قریش تجردون من هذه الفضيلة التى خصصتم بها وكنتم بها أولى من غيركم، إذا عدلتم عن الحق، فيكون ذلك أدعى إلى ذهاب جاهكم وفضلكم على الناس: فإنكم ذوى نسب شريف تميزتم به على غيركم؛ فإنما يتم لكم ذلك ويستمر بلزوم الحق والوقوف عند حكم العدل/ .

١/٢١٨

والإنصاف : إتباع الواجب وترك الهوى والميل معه .

وأخبرنل الشافعى ، أخبرنا يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بين خيثم ، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة الأنصارى ، عن أبيه ، عن جده رفاعة أن النبى ﷺ نادى : «أيها الناس إن قریشاً أهل أمانة عن بغاها الغوائر أكبر الله لمنخره» يقولها ثلاث مرات .

بغيت لشيئاً أبغيه : إذا طلبته لك كان الأصل لغيت لك الشيء فحذف اللام وأوصل الفعل ، لأن بغيت لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد، وعلى هذا جاء قوله : «من بغاها العوائر»: أى بغى لها وطلب لها، والعوائر ، جمع عائرة أى : خصلة من شأنها العثور: وهو السقوط، والوقوف على الوجه من عثر عثوراً . وقال الأزهري: معناه من بغى بها المكائد التى يعثر بها كالعائر الذى يجعل فى الأرض فيتعثر به الإنسان إذا مر به ليلاً، وهو لا يشعر به، قال: ويقال : وقع فلان فى عائر شر، وعافور شر، إذا وقع فى ورطة لم يحسبها ولا شعر بها.

وقد جاء فى المسند: «أكبه الله» ، وإنما يقال: كبه بغير ألف فإذا أدخل الألف صار الفعل قاصراً بعد أن كان متعدياً، تقول: كبته فاكب هو وهذا البناء من الأبنية الشاذة أن قال: أفعلت أنا ففعلت غيرى، ومثله فشعب الريح السحاب فأقشع، وليس شيء من بناء أفعل مطاوعاً سيبويه يجعل أكب من باب أبغض واللام أى دخل الكب، وصار

ذاكب، وكذلك أفتش السحاب أى دخل فى القشع، ومطواع كب وقشع انكب وانقشع .

وقوله : « لمنخرية » أى : ألقاه على وجهه ورماه ملتقياً وجه الأرض بمنخرية، وخصص المنخر جارياً على قولهم رغم أنفه / وأرغم الله أنفه أى ألقاه فى الرغام، وهو التراب وذلك أن الإنسان إذا سقط على وجهه فأول ما يلقى الأرض أنفه . واللام فى « لمنخرية » لام التخصيص : أى أن الكب لهما خاصة دون سائر أعضائه . والمراد كما قلنا أنه من طلب لقريش المكائد نقلها الله إليه وجعلها له وعكس عليه غرضه .

وأخبرنا الشافعي أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن قتادة بن النعمان [وقع] (١) بقريش فكأنه نال منهم فقال رسول الله ﷺ « مهلاً يا قتادة، لا تشتم قريشاً ، فإنك لعلك ترى منها رجلاً أو تأتى منهم رجال تحقر عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتهم، لولا أن تطغى قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله تعالى » .

قوله : « وقع بقريش » يفسره قوله : نال منهم . وقوله : « لا تشتم قريشاً » ، تقول : وقع فلان فى الناس وقية : أى أهانهم، كذلك وقع به، ونال فلان من فلان إذا شتمه واغتابه ونحو ذلك . وقوله : « مهلاً » أى تأن واصبر، وهو ساكن الهاء ويكون للواحد والاثنيين والجمع المؤنث يعنى أمهل، فإذا قيل لك : مهلاً قلت لا مهل ولا تقل لا مهلاً .

والغبطة : نوع من الحسد، إلا أنه لا يكون متضمناً زوال ما يحسد عليه، إنما تمنى مثله من غير زوال عن صاحبه، وطغى يطغى ويطغو طغياً فإذا جاوز الحد، وكذلك طغى يطغى وقوله : « منها ومنهم » جمع بين الضميرين فالأول : رده إلى لفظ الجماعة من قريش وهى مؤنثة والثانى : رده إلى جماعة الرجال وهم المذكرون .

وأخبرنا الشافعي : أخبرنا مسلم، عن أبى ذئب بإسناد لا أحفظه أن رسول الله ﷺ / قال لقريش شيئاً من الخير لا أحفظه، وقال : « شرار قريش خيار شرار الناس » .

فلان خير الناس وشر الناس، ولا يقال أخير ولا أشر إلا فى لغة رديئة وهؤلاء خيار الناس وشرارهم، وهم أخيار وأشرار، وفى هذه الفضيلة التى ذكرها لقريش ما لا يخفى ، لأنه لما علم أن قريشاً مع كثرتها لا تخلو، من الأشرار، كما يكون فى جميع الناس من الخير والشر، وكانت قريش من أشرف القبائل عند الله، جعل شرارها أقل شراً من شرار الناس، ولم يقل أقل شراً وجاء بلفظ الخير فقال : « خيار، وشرار

(١) ما بين المعقوفين سقط فى المخطوطة واستدركناه من المسند ص ٢٧٩ .

الناس»، وهذا من أطف أبواب الخطاب وأحسنها.

وأخبرنا الشافعى أخبرنا سفيان ، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « تجدون الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا».

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم (١).

فأما البخارى : فأخرجه عن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة وزاد فيه: وتجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم لهم كراهية، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه، ويأتى هؤلاء بوجه.

وأما مسلم : فأخرجه، عن قتبية، عن مغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد وذكر نحو.

المعادن : جمع معدن الشيء : وهو موضعه الذى يوجد فيه ويكثر فيه وقوعه وفقه الرجل يفقه بالضم فيهما: إذا صار فقيها وفقه بالكسر يفقه بالفتح إذا علم.

وقوله : « خيارهم فى الجاهلية » خيارهم فى الإسلام، وإن كان الحكم عاماً فى حق كل الناس / فإن فيه إشارة إلى قريش وأنهم خيار الناس فى الجاهلية، وهم خيار الناس فى الإسلام، وأن الخير خير على كل حال كافراً كان أو مسلماً، يدل على ذلك أنه قد جاء فى بعض طرق البخارى ومسلم لهذا الحديث « الناس تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم»، ثم لما أطلق الحكم فى ذلك خصه بقوله « إذا فقهوا » : أى صاروا فقهاء عالين، وإن وصف العلم هو الذى يتميز منه الإنسان على ضميره وهو الفضيلة العظمى والنعمة الكبرى.

وأخبرنا الشافعى أخبرنا عبد الكريم بن محمد الجرجانى قال: حدثنى ابن الغسيل عن رجل سماه عن أنس بن مالك ، أن سول الله ﷺ خرج فى مرضه فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « ألا إن الأنصار قد قضوا الذى عليهم، وبقي الذى عليكم، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم» قال الجرجانى فى حديثه: إن النبى ﷺ قال: « اللهم اغفر للنساء ولأبناء الأنصار ولأبناء الأنصار» وقال فى حديثه: إن النبى ﷺ حين خرج هشا النساء والصبيان من الأنصار، فرق لهم ثم خطب فقال هذه المقالة.

(١) البخارى فى المناقب (٣٤٩٣) ، ومسلم فى البر والصلة (٩٩/٢٥٢٦).

هذا الحديث قد أخرج بعضه البخارى ومسلم والترمذى (١).

فأما البخارى : فأخرجه عن محمد بن يحيى بن أبى على الصائغ المروزى، عن شادان أخى عبدان، عن أبيه، عن شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس وذكر الحديث إلى قوله عن هشيم.

وأما مسلم : فأخرجه فى حديث ولم يذكر منه إلا اقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم.

وأما الترمذى : فأخرجه مثل مسلم. وأما قوله : فى الدعاء «لأبناء الأنصار» فقد أخرجه البخارى ومسلم والترمذى (٢) قوله/ «قد قضاوا الذى عليهم» : يريد ما كانوا بايعوه عليه فى العقبة من النصر والحماية والإيواء والإيمان والوفاء بجميع ما اشترط عليهم عند البيعة وقوله : «وبقى الذى عليكم» من حسن الحداء لهم وإعظام شأنهم وعرفان إحسانهم والوفاء لهم على صنيعهم مثله، ثم فسر ذلك بقوله : اقبلوا من محسنهم إذا أحسن فعلاً وقولاً، وتجاوزوا عن مسيئهم إذا أساء فعلاً وقولاً، وهذه كرامة لهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن إساءتهم، وهذا وإن كان عاماً فى التجاوز عن إساءتهم فما هو إلا على سبيل التكرمة والمبالغة فى العفو عنهم، وإلا فالحكم يلزمهم شرعاً وإنما لهم فيما يبدونهم من إساءة لا يتعلق بحق، ومن الإساءة التى ليس فيها حد مشروع مما يدور بين الناس من الأقوال والأفعال الجارية بها عادات المتجاوزين المتعاملين والله أعلم.

وقوله : «يهش» أى : ارتاح وحق إليه إذا رآه. قال أبو عبيد : يقال للإنسان إذا نظر إلى الشئ فأعجبه واشتهاه فأسرع إليه وفرح به قد يهش إليه.

وأخبرنا الشافى، أخبرنا عمى محمد بن على بن العباس، عن الحسن بن القاسم الأزرق قال : وقف رسول الله ﷺ على ثنية تبوك فقال : «ها هنا شام» وأشار بيده إلى جهة الشام «ها هنا يمن» وأشار إلى جهة اليمن.

الثنية : الطريق فى الجبل، وقيل : هى الطريق بين الجبلين، وقيل : هى العقبة فى الجبل، والغرض من هذا الحديث بيان حد الشام واليمن، وقد جعل المدينة من اليمن بقوله : وأشار بيده إلى جهة المدينة، وقال فى جهة الشام ما هنا وفى جهة اليمن من

(١) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٧٩٩) ومسلم فى فضائل الصحابة (١٧٦/٢٥١٠) والترمذى فى المناقب (٣٩٠٧).

(٢) مسلم فى فضائل الصحابة (١٧٢/٢٥٠٦) والترمذى فى المناقب (٣٩٠٩).

ها هنا وبينهما فرق، وذلك أن قوله من ها هنا يفيد ان ابتداء/ اليمين من هذه البقعة ٢٢٠/ب وقوله ما ها هنا إشارة إلى هذه البقعة من الشام، وإن لم يكن متعرضاً إلى أنها ابتداء الشام أولاً.

وأخبرنا الشافعي ، أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو أن الناس سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبهم».

هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ^(١) عن محمد بن بشار، عن غندر، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة وذكر نحوه.

الهجرة : مفارقة الوطن، والانتقال من أرض إلى أرض للمقام بها، وترك الأولى للثانية وأصل من الهجر ضد الوصل، تقول : هجر هجرأ وهجراناً، والهجرة الاسم والهجرة فى الإسلام: هجرة الحبشة وهجرة المدينة والمراد بها فى هذا الحديث هجرة المدينة، وهى التى تخص رسول الله ﷺ وأنه هاجر كما هاجر المسلمون ، وكان منهم فقال: « لولا أنى هاجرت فصرت من جملة المهاجرين لكنت واحداً من الأنصار» أى من جملتهم معدوداً فيهم، وهذا وإن كان مسوداً لبيان فضل الأنصار ، فإن فيه بيان فضل المهاجرين عليهم.

وقوله: « ولو أن الناس سلكوا وادياً أو شعباً » الشعب كالوادي، إلا أنه ما كان منه بين جبلين، وقيل هو مسيل الماء فى بطن الأرض له حرفان مشروفان، قد يكون بين سندی جبلين ، وقوله : « لسلكت وادى الأنصار أو شعبهم » ، إظهاراً لموافقتهم ، وميله إليهم، ورغبته فى الانضمام معهم، ومتابعة لهم دون الناس كلهم، وأنه لما قال: « لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» ، ولم يمكن أن يترك المهاجرين أتبع الكلام بسلوكة/ مسلك الأنصار، وموافقته لهم فى ذلك.

١/٢٢١

وأخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن عمرو ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مائة، فقال لنا النبي ﷺ « أنتم اليوم خير أهل الأرض» قال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة.

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم ^(٢).

فأما البخارى : فأخرجه عن على ، عن سفيان.

(١) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٧٧٩)

(٢) البخارى فى المغازى (٤١٥٤)

وأما مسلم : فأخرجه عن سعيد بن عمر، والأشعري، وسويد بن سعيد وإسحاق ابن إبراهيم، وأحمد بن عبة، عن ابن عينة .

ويوم الحديبية : يوم معروف كان فى ستة من الهجرة، توجه النبى ﷺ وأصحابه إلى مكة معتمرين، فصدهم المشركون ، والشجرة المذكورة فى هذا الحديث : شجرة سمر كانت هناك بايع النبى ﷺ أصحابه تحتها على أن لا يفروا، وقيل بايعهم على الموت معه، وهذا من الأحاديث التى تشهد بفضل الصحابة، وخاصة لأهل الحديبية فإنهم أهل بيعة الرضوان بقوله ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح : ١٨]

وأخبرنا الشافى، أخبرنا سفيان ، عن عبد الله بن أبى لييد، عن ابن سليمان بن يسار، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بالجاية خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا كمقامى فيكم فقال: « أكرموا أصحابى ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف ويشهد ولا يستشهد، ألا فمن سره أن يسكن بجحوة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثني أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وسائته / سيئته فهو مؤمن» .

ب/٢٢١

هذا حديث صحيح أخرجه الشافى مرسلأً، عن سليمان بن يسار، عن عمر، وسليمان لم يدرك عمراً .

وقد أخرجه الترمذى : مسنداً (١) عن أحمد بن منيع ، عن النضير بن إسماعيل بن رقة ، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: خطبنا بالجاية وذكر الحديث وقال: بجحوة الجنة، ومن حديثه « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة» .

قوله: «ثم يظهر الكذب»، ويريد : كثرته وأنه يفشو فى الأرض حتى يظهر لكل أحد من الناس، ثم أنه أكد ذلك بقوله: «حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف، ويشهد ولا يستشهد»، وهذا دأب من يكثر القول ويتكلم بما لا يصدق، فيقصد افتراءه بالحلف من غير أن يستحلف على صحة قوله، ويشهد بالشيء تبرعاً من غير أن يستشهد فيقف نفسه فى نطاق التهم وبجحوة الدار بضم الباء وسطها، ووسط كل شىء خياره ، والفذ والفد الواحد المنفرد من كل شىء وقوله : «فإن الشيطان مع الفذ» أى من شأنه أن يصاحب الواحد، وقوله: وهو من الاثني أبعد لأن الشيطان إذا خلا بالإنسان تمكن من وسوسته وإيقاعه فى الفتنة، لأنه لا شاغل من قبول أباطيله ولا رادع له عن اتباع أضاليله، فإذا كان معه غيره كان أبعد له عنه، ولم يتمكن منه منفرداً،

(١) الترمذى فى الفتى (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح .

وقوله: « فليلزم الجماعة » يريد : جماعة المسلمين وأهل التقى والصلاح، والتشبه بهم والافتداء بأفعالهم، ويجعل ذلك بملازمته إياهم ، ثم علل ذلك بقوله : « فإن الشيطان مع الفذ » ثم لما قرر أن الشيطان مع الاثنين أبعد كان ذلك إعلاماً منه بتجنب الشيطان للاثنين مطلقاً فأتبعه بقوله « ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما » /

أ/٢٢٢

والشافعي أخرج هذا الحديث وقال في أثناء كلامه : فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، فمن قال ما تقول جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، وإنما يكون الغفلة في الفرقة.

وأخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: « أتاكم أهل اليمن هم ألىن قلوباً وأرق أفئدة لإيمان يمان والحكمة يمانية ».

هذا حديث صحيح متفق عليه إلا أن الشافعي أخرجه من هذا الطريق موقوفاً على أبي هريرة. وقد أخرجه البخاري ومسلم والترمذي مرفوعاً^(١).

فأما البخاري : فأخرجه، عن محمد بن المثني عن ابن أبي عدي، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

وأما مسلم : فأخرجه مثل البخاري.

وأما الترمذي : فأخرجه عن قتيبة، عن عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

قوله: « ألىن قلوباً » وصف لهم بسلامة الفطرة وخلوص النية وصحة الباطن لأن اللين من مدح القلوب كما أن القساوة من ذمها . وكذلك رقة الأفئدة جمع فؤاد من مدحها كما أن غلظتها من ذمها والقلوب : هي الأفئدة في الحقيقة، وإنما الاستعمال قد خصص كلاً منها، بموضع في الذكر وإن كان فرق بينهما في الأصل، وقد استعمل الأطباء الفؤاد في قسم المعدة، وإنما جاز ذلك لأنه مفارق للقلب الذي هو الفؤاد، وانتصب قلوباً وأفئدة على التمييز والتخصيص، ومن عادة المميز أن يكون واحداً مفرداً،

ب/٢٢٢

تقول: هؤلاء أقوى منكم قلباً، وأحسن وجهاً، وإنما جمع ها هنا كما جاء في / قوله تعالى ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف : ١٠٣] ولم يقل عملاً، لأنه لو قال عملاً لجاز أن يتوهم أن كلهم خسروا في عمل واحد، لا في أعمال فجمع لإزالة هذا اللبس وهذا مطرد فيما كان من خسة، إلا أن هذا التأويل بالآية أخص، لأنهم يجوز أن يكونوا

(١) البخاري في المغازي (٤٣٨٨) ، ومسلم في الإيمان (٩١/٨٢) ، والترمذي في المناقب (٣٩٣٥)

كلهم مشتركين فى عمل واحد ولا يكونون مشتركون فى قلب واحد.

وقوله : « الإيمان يمان، والحكمة يمانية » يريد : أن مكة من اليمين وأن أصل الإيمان والحكمة منها يعنى أن النبوة منها نشأت وبها عرفت .

وأخبرنا الشافى ، أخبرنا سفيان ، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه فقال الناس: هلكت دوس، فقال: « اللهم: اهد دوساً وأت بهم » .

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم (١).

أما البخارى : فأخرجه، عن سفيان، وعن أبى نعيم، عن الثورى .

وأما مسلم : فأخرجه عن يحيى بن يحيى، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبى الزناد .

وقوله: «عصت وأبت» أى امتنعت من الأحكام والدخول فى الطاعة .

وقوله: «هلكت دوس» بلفظ الماضى فإنما يراد به المستقبل، وذلك أن الناس لما رأوا

النبي ﷺ قد استقبل القبلة ورفع يديه عقيب قول الطفيل ما قال، وظنوا أنه يدعوا عليهم فقالوا هلكت دوس أى يهلك بدعائه عليهم، لكن لما كان اعتقاد المسلمين فى دعاء

النبي ﷺ / وأنه متى دعا على أحد أو لأحد استجيب له صار الهلاك المتوقع بدعائه

كأنه قد وقع وكان ، فلذلك جاؤا به بلفظ الماضى، ثم قال لما قال له الطفيل قد عصت

وأبت قال فى الدعاء: «اللهم اهد دوساً وأت بهم»، فدعى لهم بما يخالف العصيان،

وهو الهداية والإتيان إليه والدخول فى طاعته .

وأخبرنا الشافى، أخبرنا الدراوردي، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن

أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا أنزع على بئر أستقى» قال الشافى: يعنى

فى النوم، ورؤيا الأنبياء وحى . قال رسول الله ﷺ: «فجاء ابن قحافة فنزع ذنوباً أو

ذنوبين وفيه ضعف والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فنزع حتى استحال فى يده

غرباً فضرب الناس بعطن فلم أر عبقرياً يفرى فرية» .

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم (٢).

(١) البخارى فى المغازى (٤٣٩٢) ومسلم فى فضائل الصحابة (١٩٧/٢٥٢٤)

(٢) البخارى فى التعبير (٧٠٢١) ومسلم فى فضائل الصحابة (١٧/٢٣٩٢).

فأما البخارى : فأخرجه، عن سعيد بن عقير، عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي هريرة.

وأما مسلم : فأخرجه عن حرمة، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة.

نزعت الدلو من البئر أنزعها : إذا استيقيتها وأصله من نزعت الشيء عن مكانه وقد فسره فى لفظ الخبر فقال: «بينا أنا أنزع على بئر أستقى» فأبدل استقى من أنزع لأنه مفسرة لها، وهى المراد ولما أطلق الكلام فى هذه الرواية ولم يقل بينا أنا نائم، كما جاء فى رواية البخارى ومسلم، قال الشافعى: يعنى فى النوم حتى بين أنه كان نائماً أتبع ذلك بقوله: ورؤيا الأنبياء وحى ليتبين أن هذا وإن كان رؤيا نوم فإنها / فى التحقيق ٢٢٣/ب كاليقظة، لأن رؤيا الأنبياء وحى.

والذنوب: الدلو إذا كانت مملوءة ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب، وهى تؤنث وتذكر. وقوله: «وفيه ضعف» أى: فى استقائه، ثم أن النبى ﷺ دعى له واستغفر فقال «والله يغفر له»: يعنى والله أعلم لما قال وفيه ضعف، ربما أوهم هذا اللفظ تصورا فيه ووضعاً من حقه، فقال: والله يغفر له: أى لا يضره ضعفه عن الاستسقاء.

واستحال الشيء إلى الشيء: أى انقلب إليه أى تغير عما كان عليه والغرب: الدلو العظيمة يريد أنها كانت ذنوباً فصارت غرباً، فإن الغرب أعظم من الذنوب. والعطن: الموضع الذى تناخ فيه الإبل عند الماء، إذا رويت يقال: عطنت الإبل فهى عاطنة وعواطن، إذا شربت فبركت عند الحوטר لتعاد إلى الشرب مرة أخرى، والمراد بقوله: «حتى ضرب الناس بعطن» أى حتى رروا إياهم فأبركوها وضربوا لها عطناً.

والعبرى: الرجل الشديد وفلان عبرى القوم أى سيدهم وكبيرهم قوله يفرى فرية يريد عمل عملة فرى يفرى إذا قطع تقول العرب فلان يفرى الفرى إذا عمل العمل وأجاده.

وهذا الحديث أريه رسول الله ﷺ مثلاً لخلافة أبى بكر وعمر، وأن أبى بكر قصرت مدة خلافته، ولم يفرغ من قتال أهل الردة لافتتاح الأمصار إلا قليلاً، حتى أنه توفى والمسلمون يحاصرون دمشق. وأن عمر طالت مدة خلافته حتى تيسرت له الفتوح وأفاء الله عليه الغنائم وكنوز الأكاسرة، فشبه الرى وضرب العطن بذلك والله أعلم.

وقد أخرج / الشافعى قال: سمعت عبد الوهاب يحدث عن يحيى بن سعيد، عن ٢٢٤/أ محمد بن إبراهيم التيمى أن رسول الله ﷺ قدم عليه ثمر وشعير من بعض القرى، وأن

أسيد بن حضير قال له أهل تيس من بني ظفرأ اذكر حاجتنا لرسول الله ﷺ وأن أسيد ابن حضير أتى النبي ﷺ فوجد معه قوماً، وأنه حنى عليه فذكر له حاجة أهل قيس من بني ظفر وأن رسول الله ﷺ قال لكل أهل بيت وسق من تمر وسطر من شعير، فقال أسيد: يا رسول الله جزاك الله عنا خيراً. قال يحيى: فزعم محمد بن إبراهيم أن رسول الله ﷺ قال: «وأنتم فجزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، فإنكم أعف وأصبر وإنكم سترون بعدى أثرة في الأمر فاصبروا حتى تلقوني» (١).

وأخرج الشافعي قال: حدثني بعض أهل العلم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: ما وجدت لنا ولهذا الحى من الأنصار مثلاً إلا ما قال الطفيل:

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون فينا ملت
هم خلطونا بالغقبوس وألجأوا إلى حجرات أدوات وأظلت

قال الربيع وسمعت الشافعي يروى هذا على أثرها.

جزاك الله عنا جعفرأ حين أزلفت بنا نعلنا في الواصيه فزلت

وأخرج الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة لا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الناس أن يضربوا إباط الإبل في طلب العلم ولا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة» / وفي رواية أكباد الإبل قال عبد الرازق بن همام في تفسير هذا الحديث: هو مالك وقال سفيان بن عيينة يرويه مالك بن أنس قال ذلك الترمذي في كتابه (الجامع) والله أعلم.

(١) البخارى بمعناه في مناقب الأنصار (٣٧٩٢).